ما تعلمته الكنيسة الكاثوليكية من الحوار بين الأديان*

مايكل ل. فيتزجيرالد (Michael. L. Fitzgerald)

الكلمات الأساسية: الكاثوليكية ، الحوار بين الأديان، وثيقة *Nostra Aetate* ، مجمع الفاتيكان الثاني ، يوحنا بولس الثاني

المستخلص

لقد مضى ما ينوف على أربعين سنة على إعلان وثيقة *Nostra Aetate* وهو ما شجع الكنيسة الكاثوليكية على اتخاذ موقف منفتح إزاء الأديان غير المسيحية، فانخرطت الكنيسة في عملية الحوار بين الأديان منطلقة من روح وثيقة *Nostra Aetate* وكانت النتيجة أنها تعلمت الكثير من الحوار وأجرت إصلاحات تتصل بذلك.

في البداية فاجأت وثيقة *Nostra Aetate* الكنيسة بسبب بعد مداها، فكان لابد من الأسس اللاهوتية لإثبات صحتها، وبهذا أحرزت الكنيسة تقدما لاهوتيا فعليا في هذا المجال، ويلاحظ هذا التقدم المتصل بالحوار بين الأديان في ما يتعلق بشؤون علم الكنيسة وعمارتها والتثليث وبخاصة بعقيدة الروح القدس في تعاليم عدد من كبار البابوات وفي وثائق معينة أخرى لدى الكنيسة، وتدعم ممارسة الحوار صحة هذه التطورات، وتوضح هذه المقالة هذا بشكل جلي بضرب أمثلة عن بعض مظاهر الحوار بين الأديان وبعض المشاكل المرتبطة به، وتعيد الكنيسة الكاثوليكية اليوم إثبات فهمها الذاتي التقليدي، وتقر في ذات الوقت بضرورة التعاون والتعايش السلمي مع الأديان الأخرى.

المقدمة

فاجأت وثيقة *Nostra Aetate* الكنيســـة الكاثوليكية، وهي الإعلان المتعلق بعلاقات الكنيسة بأديان غير مسيحية، والتي نحيي ذكراها من خلال هذا المؤتمر، كان من الطبيعي ومن المتوقع أن يأخذ مجمع الفاتيكان الثاني على عاتقه بعضاً من العمل الذي لم يتم في مجمع الفاتيكان الأول، عاملاً على موازنة أسلوب تناول الحبر الروماني في المجمع السابق بتوجيه اهتمام أكبر إلى دور الأسقفية، والتوصل إلى التأكيد على العمل الجماعي في سلطة الأساقفة بالتعاون مع البابا، كان الحوار المسكوني جارياً لبعض الوقت قبل المجمع، لذلك نشأت حركة، كما نشأ تيار قوي

استطاع البابا يوحنا الثالث والعشرون أن يعتمد عليه لدعم رغبته في عقد مجمع يكون مسكونياً بمعنيي الكلمة، مجمع يعكس الصفة الجامعة للكنيسة ويؤدي إلى الوحدة بين المسيحيين، لم تكن هناك حركة مماثلة بين الأديان وفي الحقيقة فإن عدداً قليلاً من الأساقفة جاءوا على ذكر العلاقات مع أناس من أديان أخرى في الدراسات التحضيرية لوضع جدول أعمال المجمع، كان هناك بالطبع بعض الرواد خاصة ممن ينتمون إلى السلك الديني، بمن في ذلك اليسوعيون وأعضاء من جمعيتي أنا التبشيرية والمبشرون في إفريقيا، الذين كانوا يعملون في وسط السكان الذين لم يكونوا مسيحيين، مع ذلك لم يبد أن هؤلاء كان لهم عظيم الأثر على الكنيسة ككل.

ففي حقل الحوار بين الأديان، إذاً حصلت الكنيسة ككل تقريباً على كل شيءٍ تتعلمه، لقد شكلت وثيقة *Nostra Aetate* الأساس، ولكن لكونها وثيقة رعوية بطبيعتها كان لابد من أن تنشد الأسس اللاهوتية للعمل الذي طرحته في مكان آخر، فضلاً عن ذلك كان لا بد من طمأنة المجتمعات المسيحية في سائر أنحاء العالم بأن توجه هذا الإعلان كان متطابقاً مع الإنجيل ومع تقليد الكنيسة.

تصدت أمانة السر المختصة بشؤون من هم من غير المسيحيين، والتي أسسها البابا بولس السادس حتى قبل أن يتم إعلان وثيقة *Nostra Aetate* للعمل بها رسمياً، لإنجاز هذه المهمة، مع أن العلاقات المسيحية اليهودية بقيت خاضعة لأمانة السر المختصة بالوحدة المسيحية، والتي كانت قد بادرت بهذا الحوار وأعدت المسودة الأصلية لـــ (*Nostra Aetate*). وقد تمت استشارة خبراء مثل جان دانييلو وهنري دو لوباك وكلاهما وصلا إلى منصب كاردينال، وجرى إصدار تأملات لاهوتية ورعوية وتم توفيرها للعامة من الناس من خلال مجلة تم تأسيسها لهذا الغرض بالذات: Bulletin, Secretariatus pro non Christianis، ثم أعيدت تسميتها لاحقاً Pro Dialogo. وأعدت بعض المنشورات الخاصة، بما فيها سلسلة من الإرشادات من أجل الحوار مع المسلمين، ومع البوذيين والهندوس ومن أجل اللقاءات مع الأديان الإفريقية، وقد صممت هذه الكتيبات، التي تستند إلى معرفة واسعة وسليمة ولكن بأسلوب بسيط، لترسيخ الموقف الجديد حيال الأديان الأخرى والتي كان على الكنيسة تبنيه وفقاً لوثيقة *Nostra Aetate*.

انطلاقا من هذا ومحاولة منا للإجابة على السؤال المعني بما تعلمته الكنيسة من الحوار بين الأديان سيكون من المستحسن مقاربة المسألة بطريقتين: إحداهما لاهوتية والأخرى عملية.

1- تطورات لاهوتية من خلال تأثير الحوار بين الأديان.

تقفياً للتطورات اللاهوتية التي حصلت عبر السنين منذ إعلان وثيقة *Nostra Aetate*، سوف أستند بشكل رئيس إلى الوثيقتين الرسميتين اللتين قدمتهما أمانة السر المختصة بشؤون من هم من

غير المسيحيين، والتي تعرف اليوم بالمجلس الحبري للحوار بين الأديان، أي موقف الكنيسة حيال أتباع أديان أخرى: تأملات وتوجيهات حول الحوار والدعوة (1984م، المشار إليها بـــ DM) و((Dialogue and Proclamation (1991) والحوار والإشهار والمشار إليها بـــ DP). سيكون من الضروري الأخذ بالاعتبار تعاليم الباباوات المتعددين وكذلك بعض الوثائق المنبثقة عن مكاتب أخرى من هيئة إدارة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

1.1- أساس ثالوثي

تبين وثيقة الحوار والدعوة بوضوح بأن الدافع الجوهري للحوار هو الإيمان، "ففي سر الثالوث، تسمح لنا الرؤيا المسيحية أن نلمح في الله حياة من الاتصال والتبادل" (DM 22). يعطي التأمل بالعلاقات بين الأشخاص الإلهيين، حيث يلتفت كل شخص التفاتاً كلياً نحو الآخرين في حين يبقى متميزاً، تشجيعاً لمحاكاة هذا النموذج هنا على الأرض، ليس فقط ضمن مجموع المسيحيين، بل مع كل الناس، بمن في ذلك أولئك الذين ينتمون إلى أديان أخرى، وسيتم الإدراك بالطبع أن الخطاة من البشر لا يمكنهم الأمل في توليد الوحدة الكاملة في تنوع الثالوث، لكن ذلك لا ينزع جدوى الكفاح بهذا الاتجاه.

قد يلاحظ المرء في هذا السياق التوتر الموجود في إعلان وثيقة *Nostra Aetate* بين التعددية والوحدة، إذ تتم، منذ البداية، معرفة الأديان المختلفة، ولكننا نلحظ في نفس الآن "واجب الكنيسة في التشجيع على الوحدة والإحسان بين الأفراد" (NA1). حيث يتم التأكيد على وحدة الجنس البشري، ووحدة الأصل والمصير معاً، وهو ما يترك الناس، مع ذلك، منقسمين دينياً على الطريق نحو هذا الهدف المشترك، ويلاحظ بطريقة مماثلة بأن سائر البشر يواجهون بنفس الأسئلة الجوهرية عن الوجود الإنساني، مشيرين بذلك إلى وحدة ما في تطلعاتهم وهمومهم، لكنهم يتوجهون إلى أديان مختلفة للحصول على إجابات عنها، ومن هنا ينظر إلى معتقدات هذه الأديان وممارساتها باحترام، اعتماداً على عناصر الحقيقة والقداسة التي تضمها هذه الأديان، مع الإبقاء على فرادة الخلاص بيسوع المسيح، لأن واجب الكنيسة يلزمها المناداة بالمسيح دون إخفاق، المسيح الذي هو "الطريق والحق والحياة" (يوحنا 6 :4 1) (NA2). سيكون من الضروري العودة إلى هذا التوتر مرة أخرى لاحقاً، وقد ذكر التوتر هنا لإظهار أنه لو كان بمقدور الحوار بين الأديان أن يتقدم على الثالوث فسيكون فقط انعكاساً باهتاً ناقصاً لغنى حياة الثالوث.

1.2- محبة الأب الغامرة

"إن ما نتأمل به ملياً، في الله الأب هو المحبة الطاغية التي لا يحدها زمان ولا مكان".

(DM22)، وتبدو لي هذه المقولة مهمة للغاية، فهي تؤكد على الصفة الجامعة لمحبة الله جغرافياً وتاريخياً، كما أنها تؤكد على قناعة نمت منذ مجمع الفاتيكان، بأن رحمة الله لا يمكن أن تحد. تقول الرسالة الأولى إلى طيمثاوس إن الله يشاء خلاص الجميع (ق. 1 طيم 2:5)، ولابد من أخذ هذا الأمر جدياً لأنه إن شاء الله حقاً أن يخلص الجميع، فإن عليه أن يدبر بطريقة أو أخرى، السبل لتحقيق هذا الخلاص، إن لهذا عواقبه العملية على الحوار، فهو يعني بأنه ليس بمقدورنا إقصاء أحد من إمكانية الاستجابة لله ومن الاتحاد معه، لقد أدهشتني الأمانة الأخلاقية، لا بل بوسعي القول أدهشتني قداسة العديد من الناس الذين ينتمون إلى أديان أخرى، لابد بالتأكيد من القول بأن هذا هو تأثير نعمة الله الرحيمة، فإذا ما حصرت الأمانة الأخلاقية والقداسة بالمسيحيين، فسوف ينطوي ذلك على هلاك مليارات الناس، هل يمكن لأهل بوسطن أن يقبلوا القول بأن أجدادهم، أولئك الذين كانوا في جزيرة إيمرالد قبل وصول القديس باتريك، هم الآن جميعاً في جهنم؟ ينطبق الشئ عينه على الأمريكيين من سكان البلاد الأصليين، وكل الناس الذين اتبعوا دينهم التقليدي، إن الدين التقليدي يتضمن عادة احتراماً كبيراً للأسلاف، لذلك من المهم أن يتم احترام هؤلاء الأجداد، ولأن الله بالتحديد يحب كل الناس ويريد خلاصهم فإن علينا أن نحترمهم، أياً كانت معتقداتهم الدينية، هذا هو المبدأ الذي تقوم عليه Dignitatis Humanae، وهو إعلان المجلس حول الحرية الدينية، مع أن هذه الوثيقة تشدد أيضا على الالتزام بالبحث عن الحقيقة والتمسك بها بمجرد العثور عليها.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن البابا يوحنا بولس الثاني اقترح، وهو يعد الكنيسة للاحتفال بيوبيل سنة 2000 العظيم، تكريس سنة لكل شخص في الثالوث المبارك، وتكرس السنة الأخيرة من الإعداد للأب، في رسالته التي يقدم فيها الإعدادات من أجل الاحتفال باليوبيل،Tertio Millenio Adveniente، كتب البابا قائلاً:

> إن الحياة المسيحية بأجمعها هي مثل رحلة حجيج عظيمة إلى بيت الأب، الأب الذي نكتشف محبته غير المشروطة لكل كائن بشري، وخاصة محبته "للابن الضال التي نكتشفها من جديد كل يوم" (ق. لو 15:- 32). تحصل رحلة الحجيج هذه في قلب كل شخص وتمتد إلى الجماعة المؤمنة لتصل بعدئذ إلى الإنسانية جمعاء.(TMA49).

ربما كان هذا التصور الموسع هو الذي دعا البابا يوحنا بولس الثاني إلى الاقتراح بأن يعتبر عام الأب هو الوقت المناسب لعقد اجتماعات تتم دعوة أناس من مختلف الأديان إليها، وبمقتضى ذلك، نظم المجلس الحبري من أجل الحوار بين الأديان، في تشرين الأول / أكتوبر من عام 1999م اجتماعاً في الفاتيكان تتواصل فيه الأديان ويركز على دور الأديان في المجتمع خلال

الألفية الثالثة، وقد ترأس البابا نفسه الاحتفال الختامي في ساحة القديس بطرس، وذكر في حديثه بأنه وجد في الحوار بين الأديان علامة من الرجاء في الجزء الأخير من القرن الذي كان على وشك الانتهاء. "لابد أن يؤدي المزيد من الاحترام المتبادل والثقة المتنامية إلى مزيد من العمل المشترك الفاعل والمنسق لمصلحة الأسرة البشرية". (Discourse to the Interreligious Assembly- الحديث البابوي إلى الاجتماع المنعقد حول الحوار بين الأديان، مدينة الفاتيكان، 28 تشرين الأول / أكتوبر 1999م).

1.3- المحبة المنقولة عبر الكلمة الذي صار جسداً

اعتبر التجسد، الذي هو حقيقة أن الله قد أرسل ابنه الحبيب إلى العالم ليظهر محبته (ق.ا يوحنا 4:9) أساسياً على الدوام بالنسبة للمسيحية، مع ذلك فإن البابا يوحنا بولس الثاني، بأخذه تأكيدات من مجمع الفاتيكان الثاني، قد أعطى معانٍ جديدةٍ لهذه الحقيقة، كانت وثيقة Gaudium et Spes قد بينت بأن ابن الله قد وحد نفسه بطريقة ما، من خلال التجسد مع كل كائن بشري (ق. GS22). وقد ردد هذا القول في منشوره البابوي الأول Redemptor Hominis (وأنا أستشهد بما جاء، كما ورد في الترجمة، بلغة غير شمولية.):

> الإنسان _كل إنسان دون استثناء أياً كان_ قد افتداه المسيح، والمسيح متحد، بطريقة ما، مع الإنسان _مع كل إنسان دون استثناء أياً كان_ حتى حين يكون الإنسان غير مدرك لهذا الاتحاد، فالمسيح الذي مات وقام من أجل الجميع يعطي الإنسان، كل إنسان النور والقوة ليكون مؤهلاً لدعوته السامية (RH 14).

يعطي هذا اليقين، الذي يمكن تسميته بالتصور الصوفي لوحدة البشرية بأجمعها في المسيح، بعداً إضافياً لكرامة الشخص البشري، وهذا هو ما يؤثر، أو يجب أن يؤثر بالتأكيد على الطريقة التي يقابل فيها المسيحيون الناس الذين لا ينتمون لنفس عقيدتهم.

كان على الكنيسة أن تدافع عن هذه الحقيقة للحؤول دون التخفيف من تأثيرها من جانب تيار النسبية (وهو الذي يتبنى الرأي القائل بأن الحقائق الأخلاقية تعتمد على الأفراد والجماعات التي تتمسك بها) هذا هو المغزى الكامل لوثيقة Dominus Iesus التي أصدرتها الرعية من أجل عقيدة الإيمان في عام 2000م ، تُرى هل يتعين على هذا التأكيد المكرر لحقيقة رئيسة في المسيحية أن يعتبر برهاناً على موقف حصري؟ سأجيب عن ذلك السؤال بطرح أسئلة أخرى، هل يعتبر الإيمان بإله واحد لا بتعددية في الآلهة بالأحرى عملاً حصرياً؟ هل يعتبر الإيمان بتجسد

واحد لا بالعديد من التجسدات بالأحرى أمراً حصرياً؟ نظراً لأن تجسد ابن الله في يسوع المسيح يمس الإنسانية جمعاء فإن أي تجسد آخر يضحو بالضبط لا داعي له، ويبقى المسيح هو الطريق إلى الأب، الطريق التي شقها المسيح لكل الناس عبر ألمه و موته وقيامته.

هناك درس واحد تم تعلمه من ممارسة الحوار بين الأديان، وهو أن هناك حاجة إلى أن تتعمق جذور الإيمان في الإنسان، وتوضح هذا الأمر الوثيقة الثانية التي أصدرها المجلس الحبري من أجل الحوار بين الأديان، Dialogue and Proclamation (1991م):

يتطلب صدق الحوار بين الأديان دخول كل امرئٍ فيه، رجلاً كان أم امرأة، بما يمتلكه إيمانه الخاص به من الكمال، لابد أن يتذكر المسيحيون في نفس الآن، وبينما يبقون ثابتين في إيمانهم بأنهم أُعطوا كمال الرؤيا في يسوع المسيح، الذي هو الوسيط الوحيد بين الله والإنسان (ق. طيمثاوس 2:4–6)، بأن الله قد تجلى بطريقة ما لأتباع تقاليد دينية أخرى، وهم بالتالي يقاربون قناعات وقيم الآخرين بذهن منفتح (DP48).

تتابع الوثيقة لتشير بأنه مازال على البشر، بما في ذلك المسيحيين، وبالرغم من أن كمال الرؤيا موجود في يسوع المسيح، أن يستوعبوا، هذا الكمال، هناك نمو مستمر في الشعور بالحقيقة، هناك عملية لا متناهية في التعلم، لذا كان من الممكن تعريف الحوار بين الأديان على أنه السير معاً نحو الحقيقة والتعاون في خدمة البشرية (ق.DM13). هذا يعني بأننا نتلقى درساً أبعد نستقيه من الحوار، درساً يتطلب موقفاً يتسم بالتواضع، لا بالغطرسة، فالحوار لا يعني المنافسة، لا مكان للمنافسة، إلا إذا كانت منافسة من أجل فعل الخير، وفقاً لما يأمر به القرآن: "ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا...الآية". (المائدة:48). إن لدى القديس بولس فكر مماثل، كتب بصيغة النفي: "لا شيء بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم، لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو للآخرين أيضاً". (فيليبي، 3:2).

كنت هنا أستشرف الجزء الثاني من هذا الحديث، الذي سيتناول المسائل العملية، ومن الضروري العودة إلى الاعتبارات اللاهوتية.

1.4– المحبة التي وجدت من خلال عمل الروح

تختتم الفقرة المقتطفة من Gaudium et Spes والمشـــار إليها أعلاه، والتي تتأمل بالدور المركزي ليسوع المسيح، ابن الله الذي صار إنساناً، بقولٍ رائع:

كل هذا يعتبر جيداً لا من أجل المسيحيين فقط بل من أجل كل الناس ذوي النوايا الحسنة

الذين تنشط النعمة في قلوبهم خفية (ق.LG 16)، نظراً لأن المسيح بذل من أجل الجميع (ق. روم 32:8) وبما أن كل الناس مدعوون في الحقيقة إلى نفس المصير الواحد، المصير الإلهي، فعلينا أن نتمسك بأن الروح القدس يمنح الجميع إمكانية أن يجعلوا شركاء، بطريقة يعرفها الله، في سر الفصح (GS22).[1]

هنا يتم إبراز عمل الروح القدس، كان هناك بالتأكيد نمو في لاهوت الروح القدس، منذ مجمع الفاتيكان الثاني، وهو ما ألمح إليه منشورا البابا يوحنا بولس الثاني Dominum et Vivicantem and Redemptoris Missio. تشير وثيقة الحوار والدعوة Dialogue and Mission إلى أن الروح يعمل في أعماق ضمائر الناس مرافقاً إياهم على طريقهم نحو الحقيقة، وهكذا تعتبر الروح ناشطة خارج الحدود المرئية للكنيسة، وفي الحقيقة يمكن القول إن:

الروح القدس يستشرف مسار الكنيسة ويرافقه، الكنيسة التي تشعر بنفسها، مجبرة، مع ذلك، على تمييز، علامات وجود الروح وعلى اتباع الروح أينما قاد وعلى خدمته كمتعاون حكيم متواضع (DM 24).

تضيف وثيقة Dialogue and Proclamation المزيد من التأمل المبني على مجمع الفاتيكان الثاني. إنها تلحظ أن الخير وفقاً لـــ Lumen Gentium مغروس، ليس فقط في قلوب الأفراد، بل أيضاً في طقوس الناس وعاداتهم (ق.DP17 إشارة إلى LG 17)، ويمكن أن يعزى هذا إلى فعل الروح لأنه كما تُعلِّم Ad Gentes (وثيقة التبشير من مجمع الفاتيكان الثاني)، "مما لا شك فيه أن الروح القدس كان يعمل في العالم قبل أن يتمجد المسيح" (AG4). لذلك استطاع البابا يوحنا بولس الثاني أن يقول بأن كل صلاة حقيقية هي من عمل الروح الموجود في قلوب الناس (ق.DP 27، استشهاداً بحديث البابا يوحنا بولس الثاني إلى هيئة إدارة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بعد يوم الصلاة من أجل السلام الذي أقيم في أسيسي في عام 1986م).

يعتبر التأثير الذي يمكن أن يحدثه مثل هذا التعليم على ممارسة الحوار بين الأديان جلياً، فالمسيحي لا يدخل في هذا الحوار كفردٍ يمتلك كل شئ ليقابل آخر لا يمتلك شيئاً، إن الروح عند المسيحي بالأحرى قادر على ملاقاة الروح الموجود عند المحاور الذي ينتمي إلى تقليد ديني آخر، استخداماً لكلمات شعار الكاردينال نيومان: cor ad cor loquitur. وكذلك يبدو لي، من الناحية المعاكسة بأن الحوار ما بين الأديان قد ساعد الكنيسة على أن تكون أكثر وعياً بنشاط الروح وأهمية لاهوت الروح القدس السليم.

1.5- الكنيسة كسِرٍّ مقدّسٍ لمحبة الله

بما أن الروح القدس يستشرف الكنيسة في دعوتها ويرافقها، فإن دور الكنيسة هو حقاً تلمس علامات وجود الروح واتباع القدوة المعطاة من قبل الروح والخدمة بتواضع وحيطة، وهي مدعوة حقاً لأن تكون منارة، لأن تكون سراً مقدساً لمحبة الله للعالم.

إن هذا الفهم للكنيسة كسِرٍّ مقدّسٍ، والذي أكد عليه مجمع الفاتيكان الثاني بشدة عند مطلع Lumen Gentium بالضبط، هو الأساس الأصلي للحوار بين الأديان، فالكنيسة ليست "نادياً لمن نالوا الخلاص" يتوجب عزله عن بقية العالم، بل هي شعب، وفي الحقيقة هي شعب حاج، يتوجه إليها حتى أولئك الذين لا يعرفون الإنجيل ويكونون على صلة بها، لذا على الكنيسة بالضرورة أن تدخل في حوار، ومن هنا جاء إعلان *Nostra Aetate* حول علاقة الكنيسة بالأديان الأخرى.

اعتبرت الكنيسة على الدوام امتداداً للتجسد، فلو تأمل المرء بالتجسد متخذاً من معمودية المسيح نقطة بداية، سيرى بأن ابن الله، يغطس، ليس فقط في مياه نهر الأردن، بل في نهر البشرية الخاطئة التي تتوق للفداء دون أن يفقد هويته، كذلك هو الحال مع الكنيسة، فهي أيضاً تغمرها البشرية وقد لا تكون هويتها الحقيقية جلية على الدوام، قد ترى على أنها دين بين الأديان، وقد تدعى للعمل على هذا النحو في مجتمع اليوم التعددي، لهذا السبب سيكون من الطبيعي تماماً أن تجد قادة مسيحيين إلى جانب حاخامات وأئمة ورهبان بوذيين ومعلمين هندوس في مجامع منعقدة ما بين المعتقدات الإيمانية، كنيسة حاجة، أعضاؤها يتقدمون إلى الأمام، ليس بمفردهم، بل برفقة العديد من الحجاج الآخرين، في هذه الرحلة الأخوية وكما قال البابا يوحنا بولس الثاني في أسيسي"،إما أن نتعلم السير معاً بسلام وانسجام أو ننجرف منفصلين وندمر أنفسنا والآخرين" (حديث من أجل اختتام اليوم العالمي للصلاة من أجل السلام، أسيسي، 27.10.86,n5).

من هذا المنطلق يشكل الحوار ما بين الأديان جزءًا لا يتجزأ من دعوة الكنيسة، إنه لا يعتبر شيئاً إضافياً خيارياً، كما تقول وثيقة الحوار والدعوة Dialogue and Mission، ويشكل الحوار عنصراً واحداً من هذا "الواقع المفرد، لكن المعقد والمبيَّن" الذي هو دعوة الكنيسة، إنه يقف جنباً إلى جنب مع الحضور والشهادة والصلاة والتأمل والليتورجية والخدمة و*diakonia* والإعلان والتعليم الديني (ق.DM 13)، وقد يكون الحوار أحياناً موضع شكٍّ، بما أنه يرى على أنه طريقة مخادعة لمحاولة كسب مهتدين إلى المسيحية وزيادة أعداد جماعة المسيحيين، وقد أوضح البابا يوحنا بولس الثاني بأن "الحوار لا ينشأ من هموم تكتيكية أو من منفعة ذاتية، بل هو نشاط له مبادئه الإرشادية الخاصة به كما أن له متطلباته وهيبته" (Redemptoris Missio 56). وتم تعزيز هذا الفهم للكيفية التي يتلاءم فيها الحوار مع حياة الكنيسة -كما أفهم- عن طريق ممارسة الحوار لأنه حيث تكون هناك ريبة فلن تكون هناك ثقة متبادلة، وحين تفتقد الثقة فلن يكون هناك

حوار صحيح، من المهم الملاحظة بأنه في حين قد تؤدي عناصر الدعوة في الكنيسة المذكورة أولاً وهي _الحضور والصلاة والخدمة_ إلى إعلان صريح عن محبة الله كما تتجلى في يسوع المسيح فهي ليست موجهة إلى ذلك؛ إلا أنها ليست بشكل أساسي موجهة لهذا ولم تستوفِ بالإعلان، فلا يحتفل بالليتورجية (خدمة القداس)، على سبيل المثال من أجل المناداة بالمسيح، مع أن المسيح ينادى به حقاً في تهليل ذبيحة القربان المقدس بعد التكريس، وبشكل مماثل لا يشغل المسيحيون أنفسهم في أعمال الرحمة كذريعة من أجل التبشير بيسوع المسيح، لكنهم يفعلون ذلك على غرار السامري الصالح انطلاقاً من العطف على أولئك الذين يتألمون، لذا يمكن القول بأن الحوار بين الأديان لا يرمي إلى استقطاب الشريك في الحوار إلى الكنيسة الكاثوليكية.

لقد تم من خلال ممارسة الحوار توضيح الهدف من ورائه، ربما تعين قول ذلك بصفة الجمع، وسوف أعدد ثلاثة أهداف للحوار:

أولا: أنه بوسع الناس من أديان مختلفة العيش سوية بسلام ووئام.

ثانياً: إن بوسعهم العمل سوية من أجل فائدة إخوتهم وأخواتهم على كل المستويات، المحلية والقومية والدولية.

ثالثاً: إن بوسعهم تحفيز بعضهم بعضا للاستجابة بشهامة لدعوة الله المطلق، ونستطيع من منطلق هذا الهدف الثالث أن نتكلم عن الهداية، لا كتغيير للدين، بل بالمعنى الكتابي في تنقية القلب.

من هنا لا بد من الحذر من الخلط بين هذه الفكرة والفكرة الشائعة بأن الغرض من الحوار هو جعل اليهود يهودا أفضل والمسيحيين مسيحيين أفضل والمسلمين مسلمين أفضل وهكذا دواليك، لأنه لا يمكن استبعاد تغيير الدين، ويعرف الهدف بشكل أفضل على أنه مساعدة كل شخص، رجلاً كان أم امرأة، على اتباع إملاءات ضميره بشهامة أكبر.

2- التعلم من ممارسة الحوار

أودّ أن أعالج في هذا القسم أربعة عناوين تبدأ بحرف C فيما يتعلق بالحوار بين الأديان.: Conditions الشروط الضرورية للحوار، Content المضمون المتنوع للحوار، Conduct سير الحوار بما فيه من تعددية في الأشكال، وContinuity استمرارية الحوار والتي تعتبر من بعض النواحي شرطاً كي يكون الحوار مثمراً. وقد أضحت كل هذه الأبعاد أكثر وضوحاً بما أن الكنيسة انخرطت في هذا الجانب من دعوتها منذ مجمع الفاتيكان الثاني.

2.1- الشروط اللازمة للحوار

تحث وثيقة *Nostra Aetate* أعضاء الكنيسة على الدخول في حوار مع أناس من أديان أخرى والتعاون معهم "بحكمة وإحسان" (NA2)، ونحن هنا على مستوى المواقف والميول. من المثير للاهتمام أن الحوار والإبلاغ Dialogue and Proclamation، عندما يتناول الميول المطلوبة لحوار مثمر، يضع في المقام الأول موقفاً متوازناً (cf. DP 47). فقد أظهرت التجربة بأنه إذا كان المرء مفرطاً في الانتقاد ولا يرى أي شيء صالح تنطوي عليه الأديان الأخرى، فلن يكون هناك حوار، هذا يعني بأنه يتوجب بذل جهد ما للتغلب على المواقف السلبية لتبديد التحامل، وتجنب التنميط، إن أحد العوائق التي تواجه الحوار والمدرج في نفس الوثيقة هو الارتياب بدوافع الآخر على البدء بالاتصال، كما أشير إليه أعلاه، فإن مثل هذا الارتياب يحول دون تطوير المناخ الضروري لإيجاد الثقة، وهناك عائق آخر هو الروح الجدلية حيث تكون الغاية هي محاولة تسجيل نقاط على حساب الآخر لا السعي بالأحرى وراء الحقيقة معاً.

كما أن الموقف الساذج لا يساعد من الناحية الأخرى، ليس هناك من فائدة ترجى من النظر إلى أديان أخرى من خلال نظارات وردية، إذا كنا على استعداد للاقرار بالضعف في مجتمعنا الديني يتعين علينا حينئذ ألا ندهش من العثور على ضعف في مجتمعات دينية أخرى، وليس المطلوب منا المصادقة على كل شئ حول الدين الآخر، فحيث يكون هناك مناخ من الثقة، يمكن توجيه نقد متبادل، ويكون من الممكن، من خلال التبادل، رؤية النقاط التي هي موضع نقد في ضوء مختلف، ويصبح من الجلي، على سبيل المثال، إمكانيةاستخدام تعابير مماثلة ولكن بمعانٍ مختلفة، لذا فإن هناك حاجة لشرح دقيق لتجنب سوء الفهم، مع ذلك قد تبقى هناك اختلافات لا سبيل إلى تلافيها في بعض الحالات.

قد يكون من المجدي في هذا السياق التمييز بين الحوار المسكوني والحوار بين الأديان، مع أن الحوار المسكوني والحوار بين الأديان غالباً ما يسيران جنباً لجنب، كما في مكاتب مؤتمر الأسقفيات أو المؤتمر الوطني "للشؤون المسكونية وشؤون مابين الأديان" إلا أن هدفهما مختلف، إذ يرمي الحوار المسكوني إلى جمع المسيحيين في وحدة من الإيمان كافية للاعتراف بها اعترافاً متبادلاً ومن أجل احتفال مشترك بالقربان المقدس، بينما لا يمكن للحوار بين الأديان أن يدعي تحقيق وحدة بين جميع الأديان المختلفة؛ إنه يستطيع فقط أن يساعد أتباع تلك الأديان على العيش في ســـلام وانســـجام معاً، وعلى التعاون في خدمة الجنس البشري وتحفيز بعضهم بعضا في الاستجابة لله.

مع ذلك، يصبح وجود شرط آخر هو الانفتاح أمراً قابلاً للفهم من أجل الوصول إلى حوار مثمر. وحيثما كان هناك موقف من الاكتفاء الذاتي فلن تكون هناك رغبة في مقابلة الآخر كما هو هذا الآخر في الحقيقة، أو في استثمار هذا اللقاء، يمكن لمثل هذا الافتقار إلى الانفتاح، وهو ما تم تعلمه من خلال التجربة، أن يؤدي إلى موقف دفاعي أو حتى إلى موقف عدواني حيال الآخر. إن الحقيقة، كما قيل أعلاه، أعظم من أنفسنا وهي على الدوام أمامنا، علينا أن نكون مستعدين للتعلم من بعضنا الآخر، لنكتسب أفكاراً ثاقبة جديدة في عملية تساعدنا على تعميق إيماننا نحن، لا أن نتعلم حقائق جديدة.

هذا ما يؤدي إلى الإقرار بشرطٍ آخر للحوار، وهو وجود قدر معين من المعرفة، سوف يحجم أولئك الذين لا يمتلكون عمقاً كافياً في إيمانهم الخاص بهم عن تعريض أنفسهم للقاء بين الأديان، كما يتطلب الأمر، في نفس الوقت، وجود معرفة أساسية بالأديان الأخرى وذلك لتجنب إساءة تمثيلها، فلطالما شكل وجوب إعطاء صياغة كافية للعلاقات بين الأديان مصدر قلق للمجلس الحبري للحوار بين الأديان وفي كليات اللاهوت وفي بيوتات تعليم الأديان، وأيضاً في كليات لاهوتية تؤمها أعداد متزايدة من الناس العاديين، وقد جرى مؤخراً تقديم بعض الإرشادات، مع الإبقاء على قارة إفريقيا في الذهن، من أجل التعريف بالحوار بشكلٍ عام، والتعريف بالعلاقات مع المسلمين، ومن أجل الاهتمام الرعوي فيما يتعلق بالأديان التقليدية الإفريقية، ومن الجلي ضرورة وجود دور أيضاً هنا للجامعات، ومن الطيب أن نرى أن العديد من الجامعات كانت وما زالت تطور هذا الجانب من منهاجها في اللاهوت كما هي الحال هنا في جامعة برانديس وكلية بوسطن، لقد حاول المجلس الحبري للعلاقات بين الأديان، مرة أخرى، الإسهام في التأمل اللاهوتي وفي الحوار بين علماء اللاهوت، وذلك بتنظيم سلسلة من الحوارات: أحدها في مدينة بونيه Pune في الهند حول يسوع المسيح واللقاء مع الأديان؛ والثاني في أبيدجان، في ساحل العاج حول اجتماع الأديان التقليدية مع الإنجيل؛ وفي وقت أقرب عهداً وإحياء لذكرى وثيقة *Nostra Aetate*، جرى في مودلينغ قرب فيينا، في النمسا تأمل لاهوتي حول التعددية الدينية في العالم الغربي، أود في هذا الخصوص أن أشاطركم قناعتي بأنه لا يكفي إقامة دورات موازية حول الأديان المختلفة، اليهودية والإسلام والبوذية والهندوسية ..إلخ. بل من الضروري أيضاً إدخال ما تم تعلمه من خلال دراسة هذه الأديان في التعليم حول العقيدة والأخلاق المسيحية، هناك العديد من المواضيع التي يمكن إغناؤها باستعمال مقاربة مقارنة، من آن لآخر على الأقل، موجهين الانتباه إلى عدم أخذ العناصر خارج سياقها، هذا يعني بالطبع بأن المحاضرين في اللاهوت المسيحي بحاجة إلى معرفةٍ أكبر بالأديان الأخرى، لطالما كان حلمي أن يقوم المجلس بتسهيل مثل هذا التعليم، هو

حلم لم يتحقق بعد.

حتى نوفي الأمر حقه، لابد من توجيه إشارة ما ليس فقط إلى المواقف الذاتية للحوار بل أيضاً إلى شروط الحوار الموضوعية، إن الحرية الدينية هي إحدى هذه الشروط، فمن الصعب للغاية كما هو واضح، الدخول في حوار حيث تفتقد الحرية الدينية في ممارسة المرء لدينه جهاراً، سيكون هناك خشية من التعبير عن آراء المرء الخاصة أو الإعراب عن أي نوع من النقد يمكن أن يعرض للخطر الحرية المحدودة الموجودة بالفعل، كما أن عدم التسامح لا يشجع على الانفتاح، وحتى أولئك الذين يتمتعون بالحرية قد يصابون بالاحباط عندما يرون أن أقرانهم في الدين يعانون في بلاد أخرى وأن الحوار لا يبدو بأنه يساعد كثيراً في هذه الحالة.

هذا ما يؤدي إلى فكرة أخيرة، وهو أن ما تم تعلمه بسرعة هو أن الحوار المثمر يتطلب الكثير من الصبر، إنه ليس استثماراً يعود بمردود سريع، ومن الضروري في غالب الأحيان البدء بكل شيء من جديد، في محاولة لبناء الثقة مرة أخرى، بعد نكسات أو بسبب عوامل خارجية، وتقفز إلى الذهن في العلاقات المسيحية الإسلامية أحداث الحادي عشر من سبتمبر ومسألة الرسوم الكاريكاتورية كأمثلة على ذلك، يجب ألا تؤدي الإخفاقات والخيبات إلى تثبيط العزيمة، فالجهد سوف يؤتي أُكُله في الوقت المناسب.

2.2- مضمون الحوار

أظهرت التجربة أن التبادل اللاهوتي ليس الشكل الوحيد للحوار ولا يعتبر حقاً الأكثر ملاءمة على الدوام، ولا يجوز البدء به أبداً، ربما يُعتبر اللقاء على المستوى الإنساني أكثر أهمية من التبادل حول الفروق العقائدية، من هنا جاءت أهمية حوار الحياة وتشاطر الأفراح والأتراح وتقاسم الهموم المشتركة وما يشغل البال، إذ يمكن لمثل هذه الاتصالات أن تتطور لتكون عملاً موحداً، يعمل فيه الناس من أديان مختلفة معاً في مشاريع معينة، وقد لا تكون هذه، على الدوام دينية صراحة، لكن الدين سوف يلعب دوره، ويمكن ذكر جمعيات العناية بالمعاقين أو التعاون في أعمال الإغاثة كأمثلة على ذلك.

يمكن دعم حوار العمل الفاعل الذي جاء ذكره للتو بشكل مفيد بواسطة تبادل الخبرات، حول القضايا الاجتماعية والأخلاقية، إذ يمكن أن تؤدي حوارات كهذه حول العدالة في العلاقات التجارية، على سبيل المثال، أو احترام البيئة أو حول المسائل التعليمية أو مسائل أخلاقيات علم

الحياة، إلى ذهنية مشتركة حول بعض القضايا وتحالفات مخصصة لغرض معين، وفي هذه الأوقات عندما يشكك بدور الدين في المنتدى العام، يمكن اعتبار مقدرة الناس من أديان مختلفة على الكلام معاً بصوتٍ واحد حسنة كبرى، ويمكن تطبيق الكلمات الأخيرة الواردة في القسم المتعلق بالعلاقات المسيحية الإسلامية في *Nostra Aetate* _"دعوهم يحافظوا على السلام والحرية والعدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية ويعملوا على إنجاحها" (NA3)_ على العلاقات مع أناس من كل الأديان.

أدى احترام القيم المكنونة في الأديان الأخرى، والذي رسخته وثيقة *Nostra Aetate* ، من جديد إلى تطور حوار أكثر روحانية، ألا وهو حوار التجربة الدينية، إذ كشف الحوار الرهباني بين الأديان العناصر المشتركة في الطريقة الرهبانية في الحياة، مع أن السياق الديني للبوذية والمسيحية– على سبيل المثال– مختلف جداً، ومع ذلك فإن هذا النمط من الحوار ليس محصوراً بالرهبانيات، إذ يمكن أن تؤخذ الصلاة المشتركة بين أهل الأديان أيضاً بالاعتبار، وهذا ما تطور بشكلٍ كبير منذ المبادرة التي قام بها البابا يوحنا بولس الثاني في دعوة أناس من سائر الأديان إلى أسيسي في عام 1986م للصلاة من أجل السلام في العالم، هناك حاجة بالطبع لتلك "الحكمة" التي دعت إليها وثيقة *Nostra Aetate*، بحيث لا تتم التضحية بالقناعات من أجل الحصول على انسجام ظاهري، ومع ذلك عندما يتم إعداد صلاة كهذه بشكل جيد، وبإحساس لمتطلبات الأديان المختلفة ومنظور كل منها، يمكن لها أن تكون أداة قوية من أجل إحداث وحدة في القلوب.

2.3- سير الحوار

هناك نقطة ضعف واحدة في وثيقة *Nostra Aetate*، كما يبدو لي، وهي أن التعامل مع الأديان بشكل متوال_ وقد يكون من الصعب القيام بما هو خلاف ذلك _ يؤدي إلى تشكل انطباع بأن الحوار هو حوار ثنائي على الدوام : العلاقات المسيحية_اليهودية، العلاقات المسيحية_الإسلامية، العلاقات المسيحية_ البوذية وهكذا دواليك، وهذا لا يتطابق على الدوام مع الواقع، فلقد تطورت في العقود الأخيرة أشكال أخرى من الحوارات بالتأكيد.

كانت وثيقة *Nostra Aetate* حذرة من توجيه كثير من التشديد على ادعاء المسلمين بأنهم ينحدرون من نسل إبراهيم عبر إسماعيل، مع ذلك يتم الإقرار بربطهم الواعي لإيمانهم بإيمان إبراهيم، إن إبراهيم كشخصية مشتركة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين هو في الحقيقة أحد ملامح الحوار الذي تطور في السنوات الأربعين الماضية، وهناك العديد من الجمعيات التي

ترعرت تحت رعاية الإبراهيمية، وربما كانت جمعية أخوة إبراهيم في فرنسا أقدم هذه الجمعيات، وهناك مجموعة أخرى في فرنسا تدعو نفسها أبناء إبراهيم، وهناك دافع مماثل في المملكة المتحدة تولد عنه منتدى المعتقدات الإيمانية الثلاثة، إن من الصحيح الاعتراف بالعلاقات الجيدة الموجودة في العديد من البلدان بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة، رغم أن الصراع الدائر بين إسرائيل وجيرانها الفلسطينيين يخلق بالطبع صعوبة كبيرة أمام العلاقات الثلاثية المثمرة، ولكن حيث توجد هذه العلاقات يمكنها الإسهام في السلام العالمي.

ربما كانت العلاقات المتعددة الأطراف أكثر أهمية، خاصة في المجتمعات التي تتواجد فيها تعددية في التقاليد جنباً إلى جنب، حيث تكون هناك، في الحقيقة، توترات ما بين مجتمعين، فإن وجود أعضاء من مجتمعات أخرى، يساعد في الحؤول دون اندلاع الصراعات، وقد ظهر إلى الوجود، في الفترة الممتدة منذ إعلان وثيقة *Nostra Aetate* عدد من المنظمات، ذات الطبيعة المتعددة الأديان، التي يمكنهاالإسهام إسهاماً فاعلاً في المجتمع طالما أنها تحترم هوية كل دين، ولا تحاول أن توحد جميع الأديان.

يمكن أن تؤدي القراءة السطحية لإعلان وثيقة *Nostra Aetate* بالمرء إلى الاعتقاد بأن الكاثوليك وحدهم المنخرطون في العلاقات بين الأديان، إلا أن الوثيقة توجه نصحها، في الحقيقة، وهي تتكلم عن الكنيسة الكاثوليكية وأعضاء الكنيسة، إلى المسيحيين بشكل عام، ويعتبر هذا مثالاً آخر يتعذر عنده فهم وثيقة *Nostra Aetate* بمعزل عن وثائق أخرى لمجمع الفاتيكان الثاني، تماماً كما أن من الضروري الإشارة إلى Dignitatis Humanae من أجل المسألة الجوهرية المتعلقة بالحرية الدينية، والإشارة إلى Lumen Gentium, Gaudium et Spes و Ad Gentes من أجل المبادئ اللاهوتية، لابد من أخذ الوثيقة حول الوحدة المسيحية، Unitatis Redintegratio بالاعتبار المناسب، ليس من الضروري الاعتراف فقط بأن كنائس أخرى ومجتمعات كنسية تعتبر ناشطة في العلاقات مابين الأديان، بل الإقرار أيضاً أن لهذه العلاقات تأثيرها على المسكونية، كما يبين دليل تطبيق مبادئ ومعايير المسكونية Directory for the Application of Principles and Norms of Ecumenism (1939).

هناك اتصالات متزايدة في عالم اليوم بين المسيحيين وأشخاص من أديان أخرى، وتختلف هذه الاتصالات بشكل جوهري عن الاتصالات بين الكنيسة والمجتمعات الكنسية، التي تضع نصب أعينها استرداد الوحدة التي شاءها المسيح بين تلامذته أجمعين، والتي تدعى بحق العلاقات المسكونية، إلا أنها، متأثرة عادة بعمق بالعلاقات المسكونية وتؤثر بها بدورها، ويمكن للمسيحيين من خلال هذه العلاقات، تعميق مستوى الاتصال الموجود بينهم، ولذلك

يترتب اعتبارها جزءًا مهماً من التعاون المسكوني. (n 36)

2.4- استمرارية الحوار

إن الحل البريطاني لأي مشكلة هو تشكيل لجنة، و يرجى أن تكون المشكلة قد حلت نفسها مع إتمام اللجنة لعملها وتقديم تقريرها، مع ذلك فإن للجان واللجان المفوضة فائدتها حتى من أجل الحوار بين أناس من أديان مختلفة، وبعبارة أخرى، تؤمن الهيكليات العمود الفقري لقوام النشاطات الحوارية.

ألم يكن هذا هو حدس البابا بولس السادس في تشكيله لأمانة سر شؤون من هم من غير المسيحيين، حتى قبل أن تتم المصادقة على وثيقة *Nostra Aetate* رسميا من جانب مجمع الفاتيكان الثاني؟ ألم يكن هذا هو السبب وراء توطيد العلاقات الكاثوليكية_اليهودية، والكاثوليكية_ الإسلامية، وذلك بتشكيل اللجان المناسبة للاستمرار بمهمة الحوار؟

توجه الاهتمام في الكنيسة الكاثوليكية نحو تطوير شبكة من اللجان من أجل العمل المشترك بين أصحاب الأديان على المستويين الوطني والأسقفي، ويمكن لهذه اللجان أن تشكل قنوات للتواصل، مما يتيح للتعليم الرسمي للكنيسة حول الحوار بين الأديان الوصول إلى حلقات أوسع من الناس متيحة بذلك، في نفس الوقت المصادقة على هذا التعليم بواسطة الخبرة على مستوى القاعدة، وعلى الصعيد المثالي لا تكبت البنى الرسمية، الخاضعة لسلطة الأسقف المحلي أو جمعية الأساقفة تلك المبادرة، فإن مهمتها هي الترويج والتشجيع والتنسيق، إنها تستطيع منع الجهود الفردية من التلاشي، بحجة أنها شؤون رجل واحد أو امرأة واحدة دون دعم المجتمع، ويمكن للجان أن تهتم أيضاً بإشراك أناس جدد، بحيث يستمر الحوار من جيل إلى جيل.

هناك ميل بين الكاثوليك إلى توقع العثور على هيكليات مماثلة في أديان أخرى، ويصابون بالخيبة حين لا يكون الأمر كذلك، ليس هناك ما يماثل الأسقفيات في البوذية والهندوسية والإسلام أو اليهودية، لذا لن تكون هناك لجان على هذا المستوى، إلا أن هناك هيكليات موجودة بالفعل، ولا بد من تطوير العلاقات معها، إن للمدارس المختلفة في بوذية (زن) في اليابان مركزاً لثقافة زن، ومع هذه الهيئة تم تنظيم التبادلات الروحية، وقد طورت بعـض الأديـرة، مثل فو غوانغ شان Fo Guang Shan في تايوان شبكة من القواعد في بلدان مختلفة، ويصبح من الممكن التعامل مع هذه المنظمة كما يتعامل المرء مع رعية دينية في الكنيسة الكاثوليكية. إن للهندوسية، أو على الأقل الهندوسية المحدثة، منظمات مماثلة مثل Ramakrishna Mission إرسالية

راما كريشنا التبشيرية أو International Society for Krishna Consciousness الجمعية الدولية للوعي بكريشنا، وتسمح هذه المنظمات أيضاً بتنمية حوار يتجاوز الأفراد، كما أُنشئت هيكليات في العالم الإسلامي لتسهيل الحوار، مثل المنتدى الإسلامي الدولي للحوار، الذي يقيم رئيسه في السعودية، أو لجنة الأزهر الدائمة للحوار مع الأديان التوحيدية، وهناك هيئات شبه حكومية في إيران تجمع الإسلام الشيعي في حوار مع مجموعة متنوعة من المسيحيين، وهناك مجالس للمساجد وهيئات مماثلة على المستوى المحلي، وتوجد أيضاً حركات صوفية تواقة للحوار مع المسيحيين، كما توجد في العالم اليهودي هيئات مثل The World Jewish Congress الكونغرس اليهودي العالمي وAnti-Defamation League (عصبة مواجهة تشويه السمعة) وكل منها تلاحق هدفها الخاص بها، لكنها راغبة في إجراء اتصالات مع أناس من أديان أخرى، هناك المنظمة التي تعتبر المظلة الجامعة، اللجنة اليهودية الدولية للمداولات بين الأديان (IJCIC) التي تعتبر الشريك الرسمي للحوار مع لجنة الفاتيكان للعلاقات الدينية مع اليهود، مرة ثانية هناك أيضاً مجالس للكنس اليهودية، لذلك، كان من الممكن، بالرغم من التفكك، العثور على شركاء من أجل الحوار مع بعض الاستمرارية.

الخاتمة

إذا كان علينا أن نسأل أنفسنا، بمختصر الكلام، ما الذي تم تعلمه من خلال ممارسة الحوار بين الأديان على مدى السنين منذ إعلان وثيقة *Nostra Aetate*، فكيف سنجيب؟

قد نقول أولاً بأن الكنيسة تعلمت أن تكون هي نفسها، علامة من علامات وجود الله المخلِّص في العالم، وقد أضحت الكنيسة أكثر قناعة من أي وقت مضى بأن على مضمون الإيمان المسيحي ألا يخفف أو يتهاون به بأي حال من الأحوال، ولكن يجب أن تعطى الشهادة للإيمان بالطريقة التي أشار بها بطرس: "قدسوا الرب الإله في قلوبكم مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف ولكم ضمير صالح" (1 بط 3: 15-16).

ونضيف بأن الكنيسة تعلمت أن تكون على صلة بأناسٍ من أديان مختلفة بطرق مختلفة من خلال حسن الجوار، ومن خلال العمل المشترك ومن خلال المشاطرة في القيم الروحية ومن خلال النقاشات الرسمية، وتَبيَّن كذلك أن هذا الحقل لا يقتصر على المتخصصين بل هو متاح للجميع، هناك بالطبع وعي أعظم بالتحضيرات الضرورية للقيام بحوار مثمر، لكن درجة التحضيرات الضرورية ستختلف باختلاف مستوى اللقاءات.

أخيراً، بوسعي القول بأن الكنيسة تعلمت أن مهمة الحوار لن تنتهي أبداً، تماماً كما أن كلمات

المسيح "المساكين معكم على الدوام" لا تسقط أهلية المحاولات للقضاء على الفقر، كذلك فإن التقدير الواقعي بأن التعددية سوف تظل مستمرة لا يجعل الحوار أمراً لا معنى له، كما قيل أعلاه، نحن في رحلة معاً، نستطيع الاستمرار بهذه الرحلة بالرغم من اختلافاتنا، أو حتى باغتنائنا باختلافاتنا، حتى يأتي ذلك اليوم الذي ينتهي فيه التاريخ بالذات، ولن يكون للاختلافات أي أهمية، لأن الله سيكون الكل في الكل.

---

* قدمت هذه المقالة في جامعة برانديس ضمن مؤتمر "في وقتنا الحاضر: الحوار بين الأديان في عالم منقسم" الذي عقد في السادس عشر من مارس عام 2006م بالتعاون بين جامعة برانديس وكلية بوسطن مركز التعليم المسيحي اليهودي.

1- في ترجمة التعاليم الشفهية للكنيسة الكاثوليكية " أن يجعلوا مشاركين.... في سر الفصح" وهو أكثر دقة.